في مواجهة الفتن

فضيلة الشيخ
ياسر برهامي
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار الخلفاء الراشدين
الإسكندرية

دار الفتح الإسلامي
بمصطفى كامل

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الخلفاء الراشدين
الاسكندرية

رقم الإيداع : ٢٠٠٧/٥٥٠٦

دار الخلفاء الراشدين
الإسكندرية - أبو سليمان - ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٥٠١٢١٥١-٠١٢٠١٥٣٩٠٨

دار الفتح الإسلامي
الإسكندرية ـ مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٠٦٧١٤٧٦٨-٠١٠٢٧٧١٠٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ،

وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، ثم أما بعد :

فما أحوجنا أن نتدبر فيما نحن فيه ، وما نتعرض له ، وما يجده الإنسان في خاصة نفسه وإخوانه وأخواته من تزايد للفتن ونقصان للإيمان ، فالواحد منَّا قد تُنقِص الفتنُ إيمانَه في اليوم الواحد نقصًا لا يعلم مَدَاه إلا اللهُ .

ثم ما أحوجنا أن نتدبر فيما نلحظه من رجال كانوا يسيرون معنا على الطريق ، فإذا بهم يتخلفون عن الركب ويَفْقِدون سيرهم ويبتعدون عن إخوانهم ، وإذا بِقُطَّاع الطريق قد أسروهم وأخذوهم .

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يشفق من الفتن ، ويسأل جلساءه عنها ، فعن حذيفة ﷺ قال :

« كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ : أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْفِتَنَ ، فَقَالَ قَوْمٌ : نَحْنُ سَمِعْنَاهُ . فَقَالَ : لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وماله وولده قَالُوا : أَجَلْ ، قَالَ : تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْفِتَنَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ : فَأَسْكَتَ

الْقَوْمُ ، فَقُلْتُ : أَنَا ، قَالَ : أَنْتَ ، لله أَبُوكَ قَالَ حُذَيْفَةُ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ : عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا ، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ » قَالَ حُذَيْفَةُ : وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ ، قَالَ عُمَرُ : أَكَسْرًا لَا أَبَا لَكَ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ ؟ قُلْتُ : لَا ، بَلْ يُكْسَرُ ، وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ ، حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ ، قَالَ أَبُو خَالِدٍ : فَقُلْتُ لِسَعْدٍ : يَا أَبَا مَالِكٍ مَا أَسْوَدُ مُرْبَادًّا ؟ قَالَ : شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ ، قَالَ : قُلْتُ : فَمَا الْكُوزُ مُجَخِّيًا ؟ قَالَ : مَنْكُوسًا »[1] .

فإذا كان البابُ نفسُهُ [2] يريد أن يتعرف على خطر الفتنة ليحذر منها ، وليعلم المخرجَ منها ، وكيف تكون النجاة ، مع

---

(١) رواه مسلم (١٤٤) ، وأحمد (٢٣٧٦٩) .

(٢) روى البخاري من حديث حذيفة ﷺ : (قُلْنَا أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ الْبَابَ ؟ قَالَ : نَعَمْ كَمَا أَنَّ دُونَ الْغَدِ اللَّيْلَةَ ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ فَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ الْبَابُ عُمَرُ) ، رواه البخاري (٥٢٥) ، ومسلم (١٤٤) ، والترمذي (٢٢٥٨) ، وابن ماجه (٣٩٥٥) ، وأحمد (٢٢٩٠٣) .

أنها لا تصيبه وهو يعلم ذلك ؟ فقد قال له حذيفة – كما في رواية البخاري –: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ، إن بينك وبينها بابًا يوشك أن يُكسَر .

فإذا كان هذا هو حال عمر ، فما بالُنا بمن بعده ؟!

ووالله ! إن زمن عثمان ﷺ وهو بعد كسر الباب – حيث بدأت الفتن التي تموج كموج البحر – وزمن عليّ ﷺ ، بل زمن بني أمية وبني العباس بالنسبة إلى زماننا لخير أزمنة [1] .

فإذا كان من لا يدرك هذه الفتن قلِقًا منها ، فلا شك أن الذي وُلِدَ فيها ، وشبَّ وهي مستعرة ، ونشأ وبلغ فبلغ الشباب وبلغ الكهولة وربما الشيخوخة وهي تزداد وتزداد ، لا شك أنه أولى بالبحث عن ذلك ، وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب حيث أراد أن يعلم المخرج من الفتن سأل أصحابه : أيكم سمع قول رسول الله ﷺ في الفتن ؟

وذلك أنه لا مخرج من الفتن إلا في مُدَراسة كتاب الله ﷻ وسنة

---

(١) قال رسول الله ﷺ : « وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ هَذِهِ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنْ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ » رواه مسلم (١٨٤٤) ، والنسائي (٤١٩١) ، وابن ماجه (٣٩٥٦) ، وأحمد (٦٧٥٤) .

النبي ﷺ ، ونحن لا نجاة لنا من الفتن إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة بفهم السلف [1] ـ رضوان الله عليهم ـ ؛ لنعلم ما يجب علينا تجاه أنفسنا وأهلينا وإخواننا وأحبابنا والمسلمين عامة ؛ لكي يعصمنا الله ﷻ من الفتن .

معنى الفتنة :

وردت الفتنة في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ على معانٍ :

الأول : الاختبار والامتحان والابتلاء ، وهو أصل المعنى قال تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢، ٣] .

وقال تعالى ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء : ٣٥] أي امتحانًا .

فكل أحد بهذا المعنى مُفْتَتَنٌ ، وهو ما أشار إليه ابن مسعود رضي الله عنه بقوله : « تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ مُضِلَّاتِ الفِتَنِ » [2] . أي أنه : لابد لكل إنسان أن يُفتن ، ولكن نعوذ بالله من الفتن المضلة .

---

(١) قال رسول الله ﷺ : « إِنَّهَا سَتَكُون فِتْنَةٌ » ، فَقَالُوا : فَكَيْفَ لَنَا يَا رَسُول الله وَكَيْفَ نَصْنَع ؟ قَالَ : « تَرجِعُونَ إِلَى أَمْرِكُمْ الأول » صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣١٦٥) .

(٢) فعن ابن مسعود رضي الله عنه في قول الله تعالى : ﴿ أَنَّمَا أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال : ٢٨] قال : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ ، فَمَنْ اِسْتَعَاذَ مِنْكُم ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ مُضِلَّاتِ الفِتَن » رواه الطبري (٦/ ٢٢٢) .

الثاني :- وهو الأشهر والأكثر استعمالًا ، وهو الفتنة بمعنى : الامتحان الذي ظهر منه سوء حال المُمْتَحَن ، كما يقال : فُتِن فلان ، أي : وقع في الفتنة .

وهذه هي الفتن التي أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يدعو بالنجاة منها بعد كل صلاة ، أو في آخر كل صلاة ، كما في حديث اختصام الملأ الأعلى ، قال تعالى : « **يا محمَّدُ إذا صَلَّيْتَ فقُل : اللهمَّ إني أسألُكَ فِعْلَ الخَيْراتِ ، وتَرْكَ المنكراتِ ، وحُبَّ المساكينِ ، وأن تغفرَ لي وترحمني ، وإذا أَرَدْتَ بعبادِك فتنةً فاقبِضْني إليكَ غيرَ مفتونٍ** » [1] .

وكذلك أمر رسولُ الله ﷺ أصحابَه أن يتعوذوا منها ، فقال ﷺ -: « **تَعوَّذوا بالله من الفِتَنِ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ** » [2] وعن الفتنة بهذا المعنى - كان عَمر ﷺ يسأل أصحابه ، ففتنة الرجل في أهله وماله وولده هي الذنوب [3] التي اكتسبها العبد بسبب أهله وماله وولده ، وهذه تكفرها الصلاة والصوم والصدقة ، ولكن

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٣) ، وأحمد (٣٤٧٤) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣١٦٩) .

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٧) .

(٣) قال النووي : فتنة الرجل في أهله وماله وولده ضروب من فرط محبته لهم ، وشُحه عليهم ، وشغله بهم ، عن كثير من الخير ، كما قال تعالى : ﴿ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال : ٢٨] ولتفريطه في القيام بحقوقهم وتأديبهم وتعليمهم ، فإنه راع لهم ومسؤول عن رعيته ، وكذلك فتنة الرجل في جاره ، كلها فتن تقتضي المحاسبة ، ومنها ذنوب يرجى تكفيرها بالحسنات كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود : ١١٤] .

عمر كان يسأل عن فتن أعظم خطرًا من هذه لشيوعها وهلاك الواقعين فيها – والعياذ بالله – ومن المعاني التي يشملها المعنى الثاني للفتنة : معنى الشرك .

فإن الفتنة إذا كانت بمعنى الشر والفساد ، فإن أعظم الشر هو الشرك بالله ﷻ ، وهذا ورد في القرآن ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩] ، أي حتى لا يبقى شرك ظاهر في الأرض ، ويكون دين الإسلام هو الدين الظاهر على الأرض كلها .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴾ [الأحزاب : ١٤] ، فلو دخلت المدينة النبوية على المنافقين من نواحيها ، ثم دُعُوا إلى الشرك لأجابوا مسرعين ، فهم مستعدون لأن يبيعوا دينهم بعرض من الدنيا ، كما قال رسول الله ﷺ : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا » [1] .

---

(١) رواه مسلم (١١٨) .

وهذا والله في زماننا أشد ما يكون ، فربما يكفر الإنسان في لحظات ... نعوذ بالله من الفتن .

وقد ذكر أهل العلم في كتاب (المرتد) أشياء كثيرة متكررة في حياتنا ومن حولنا ونتعجب من كونها كفرًا ، قال أنس : (إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنْ الشَّعَرِ إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْمُوبِقَاتِ قَالَ أَبُو عَبْد الله يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ)(١) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

قال الإمام أحمد : (أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ؛ لعله إذا ترك بعض أمره أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك)(٢) .

فإن مخالفة السنة سبب من أسباب الوقوع في الفتنة ، فالبدع

---

(١) رواه البخاري (٦٤٩٢) ، وأحمد (١٢١٩٣) .

(٢) قال ابن تيمية في الصارم المسلول (١/ ٥٩) : (قال الإمام أحمد في رواية الفضل بن زياد : نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعًا ، ثم جعل يتلو ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وجعل يكررها ويقول : وما الفتنة ؟ الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله ﷺ أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه) .

وانظر كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، باب من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله فقد اتخذهم أربابًا .

بريد الكفر ، لأنها تؤدي إليه - والعياذ بالله - .

فمن الفتن ما يُؤدِي إلى الكفر والنفاق ، كتلك التي تكون في آخر الزمان والتي تتوالى على الناس حتى ينتهي بهم الأمر إلى معسكرين : معسكر إيمان لا نفاق فيه ، ومعسكر نفاق لا إيمان فيه (١) .

وكتلك التي وصفها عمر بن الخطاب ﷺ بأنها تموج كموج البحر ، فهي ليست فقط كثيرة متتابعة كموج البحر ، بل هي في خطورتها وشدتها (تموج) أي : تضطرب ، وعند اضطراب الموج تغرق كثيرٌ من السفن ، ويهلك كثيرٌ من الناس ، نسأل الله العافية .

فليس الأمر أن هذا الزمن زمن فتنة نرجو بعده أن تنكشف ، لكنها متزايدة ، فليس المخرج في انتظار توقفها فإنها لا تقف ، وإنما تموج كموج البحر يتلو بعضه بعضًا ، ويحْطم بعضه بعضًا ، ولكن المخرج أن يصير الإنسان بحيث لا تضره فتنة ، وذلك بأن يحافظ على بياض قلبه بإنكاره للمنكر ورده للشر والفساد ، فيزداد بذلك

(١) فعن ابن عمر م ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ لَا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً فَإِذَا قِيلَ انْقَضَتْ تَمَادَتْ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ .
رواه أبي داود (٤٢٤٢) ، وأحمد (٦١٣٣) وصححه الألباني في الصحيحة (٦٦٦) .

إيمانه مع كل محنة .

وسبحان الله ! نكره المحن وننفر من الصعاب حتى إذا وقع شيء من ذلك جعل الله من دونه خيرًا كثيرًا ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٢] فلم يقولوا : تَوَعَّدنا ، أو أوعدنا ، فازدادوا إيمانًا وإسلامًا بالفتنة والابتلاء الذي ضل بسببه المنافقون (١) ، ووجدوا في أنفسهم أنواع الطمأنينة والسكون .

---

(١) فالفتن التي تضل المنافقين ، تزيد المؤمنين إيمانًا وبصيرة ، كما يحدث لذلك الرجل الصالح الذي في آخر الزمان الذي يخرج للمسيح الدجال ، فعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين ، فتلقاه المسالح مسالح الدجال ، فيقولون له : أين تعمد ؟ فيقول : أعمد إلى هذا الذي خرج ، قال : فيقولون له : أوما تؤمن بربنا ؟ فيقول : ما بربنا خفاء ، فيقولون : اقتلوه ، فيقول بعضهم لبعض : أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه ؟ قال : فينطلقون به إلى الدجال ، فإذا رآه المؤمن قال : يا أيها الناس ، هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ ، قال : فيأمر الدجال به فيشبح ، فيقول : خذوه وشجوه ، فيوسع ظهره وبطنه ضربًا ، قال : فيقول : أو ما تؤمن بي ؟ قال : فيقول : أنت المسيح الكذاب ، قال : فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه ، قال : ثم يمشي الدجال بين القطعتين ، ثم يقول له : قم فيستوي قائمًا ، قال : ثم يقول له : أتؤمن بي ؟ فيقول : ما ازددت فيك إلا بصيرة ، قال : ثم يقول : يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس ، قال : فيأخذه الدجال ليذبحه ، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا فلا يستطيع إليه سبيلًا ، قال : فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به ، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار ، وإنما ألقاه في الجنة » ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين » اهـ . صحيح مسلم (٢٩٣٨) .

أحوال القلوب أمام الفتن :

يقول النبي ﷺ : « **تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا** [١] ، **فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ : عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا ، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ** » [٢] .

وصف الرسول ﷺ هذا القلب بوصفين :

أنه (أبيض) وهذه هي القوة العلمية ، قوة البصيرة والتي يبصر بها الحقائق على ما هي عليه عند الله ﷻ ، فهذا القلب الذي لم تصبه غشاوات الشبهات ولا ظلمات المعاصي ، يجعل الله ﷻ له

---

(١) نقل النووي قول القاضي عياض عن أبي الحسين بن سراج ، قال : ومعنى (تعرض) أنها تلصق بعرض القلوب ، أي جانبها ، كما يلصق الحصير بجنب النائم ، ويؤثر فيه شدة التصاقها به ، قال : ومعنى عودًا عودًا ، أي : تعاد وتكرر شيئًا بعد شيء ، قال ابن سراج : ومن رواه بالذال المعجمة فمعناه سؤال الاستعاذة منها ، كما يقال غفرًا غفرًا ، وغفرانك ، أن نسألك أن تعيذنا من ذلك وأن تغفر لنا ، وقال الأستاذ أبو عبد الله بن سليمان : معناه تظهر على القلوب ، أي : تظهر لها فتنة بعد أخرى وقوله : (كالحصير) أي : كما ينسج الحصير عودًا عودًا ، وشظية بعد أخرى .

قال القاضي : وعلى هذا يترجح رواية ضم العين ، وذلك أن ناسج الحصير عند العرب كلما صنع عودًا أخذ آخر ونسجه ، فشبه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحدًا بعد واحد ، أهـ .

(٢) رواه مسلم (١٤٤) .

فرقانًا يُفرِّق به بين الحق والباطل ، ويجعل فيه نورًا يُهْدَى به في ظلمات الفتن ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

كما وصف الله ﷻ قلب المؤمن بالزجاجة التي فيها مصباح ، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٥] .

فالله ﷻ مُنَوِّر السماوات والأرض ، وهادي أهل السماوات والأرض ، فلأجل اتصافه بصفة النور ، خلق النور في السماوات والأرض وفي قلوب عباده المؤمنين .

(مثل نوره) أي في قلب عبده المؤمن .

(كمشكاة) كوة في الجدار - أي تجويف مغلق - بعيدة عن الرياح التي قد تطفئ المصباح ، وهكذا قلب المؤمن محفوظ من أن تضره رياح الفتن .

(فيها مصباح) وهو الفتيلة .

(المصباح في زجاجة) فالزجاجة قلب المؤمن ، أبيض شفاف يخرج منه النور ويدخل فيه النور ، فإذا وُعِظ اتعظ ، وإذا عُلِّم تعلم ، وإذا ذُكِّر تذكر ، وإذا كان مع من هو خير منه إضاءةً استفاد منه ودخله من نوره فصار قلبه مضيئًا بذلك ، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ ، استضاءت قلوبهم بصحبتهم إياه وبما أفاض الله ﷻ عليه من نوره ﷺ ، فإنه هو السراج المنير : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] .

وكذلك من أتى بعدهم من التابعين ، وهكذا إلى أن وصل إلينا هذا الوحي وهذا الإيمان ، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المؤمنين حقًا ، وأن ينير قلوبنا بنور الإيمان .

فهذا مثل قلب المؤمن ، شفاف يدخله النور من خارجه ، أما إذا كان في بيئة مظلمة فينتشر منه النور ويشع ، فيعرف الناس الحق به ويهتدون به إلى الطريق المستقيم .

أما إذا كان على الزجاجة سواد وغَبَرة وقَتَرة ، فلا يدخل فيها نور ، ولا يخرج منها كذلك .

فانظر إلى نفسك لتعلم ، ما حال قلبك ؟

هل إذا ذُكِّرت تذكرت ؟ وإذا وُعِظت اتعظت ؟ وإذا أُمِرت استجبت ؟ وإذا نُهِيت توقفت ؟ وإذا خوفت بالله ﷻ خفت ؟

وكذلك حين توجد في بيئة يُعْمَل فيها بالمنكر ، ماذا تصنع ؟ هل تنير الطريق للناس ؟ أم تظلم عليك الدنيا كما أظلمت عليهم ؟ هل تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ هل تُعَلِم الناس الحق وتدعوهم إلى الله ﷻ ؟ وعلى قدر النور الذي في قلبك يكون تأثيرك في من حولك ، فليس الأمر مجرد كلام أو خطب أو دروس ترددها الألسنة وتسمعها الآذان ، بل يشع من القلب النور فلا يقف أمامه حاجزٌ أو حجاب حتى يستقر في القلوب فتستنير به .

أما الوصف الثاني الذي وصف به رسول الله ﷺ قلب المؤمن : فهو أنه (مثل الصفا) أي : الصخر .

وهذه هي القوة العملية – قوة الإرادة – فقلب المؤمن صلب وقوي لا ينطبع – بمعنى لا يتأثر بما حوله – كما أن الصخر لا ينطبع ، فالسوائل مثلًا تتشكل بشكل الإناء الذي توضع فيه ، وبعض المواد الصلبة يمكن تشكيلها كالثوب مثلًا فإنه يطوى ويشكل كذلك ، أو الصلصال فإنه ينطبع ويتشكل كما يريد

صاحبه ، أما الصفا (الصخر) فهو ثابت على وضعه ، ينكسر ولا يتغير ، وكذلك المؤمن لا تغيره الظروف ، ولا يتبع الشهوات ، ولا يقبل المداهنة ولا النفاق ، وهو نفس الوصف ، في المثل القرآني لقلب المؤمن بالزجاجة ، فإن الزجاجة تجمع وصفين : الشفافية والصلابة ، فالبياض والشفافية القوة العلمية ، والصلابة في الحق والثبات عليه القوة العملية ، فإذا اكتملت للمؤمن قوته العلمية وقوته العملية ، فإنه لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض .

وأما القلب الآخر الذي قَبِل الفتنة ورضيها وتابع عليها ، فإنه (أسود) لضلاله وجهله فلا يستطيع أن يميز الحق من الباطل ، ولا يدخل إليه نور ، فلا يقبل الوعظ والتذكير ، ولا يشع منه نور ، إذ لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر .

(مربادًا) أي : متسخًا ، فالوسخ والقذر في القلب هو الإرادات الخبيثة .

فليس للكفرة والظلمة والفاسقين والمنافقين همٌّ إلا شهوات الدنيا ، وما تمليه عليهم أهواؤهم من الشهوات الحيوانية كشهوة البطن والفرج والعين والأذن ، والشهوات الشيطانية كالكبر والعلو والفخر والعجب وحب الرياسة والرياء وهكذا .

أشار رسول الله ﷺ إلى نوعية الفتن التي تكون في آخر الزمان بقوله : « لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا ، إلا ما أشرب من هواه » .

ففتن الشهوات [1] هي التي تؤدي إلى عمى البصائر ، ومن ثم إلى الوقوع في الشبهات بعد ذلك ، وهذا ملحوظ في نمط الحياة الذي يريده أعداء هذه الأمة لها ، يريدون أن نحيا حياتهم ، ونعيش كما يُرَوِّجُون في وسائل الإعلام ، ليس لنا همٌّ إلا الجنس أو المال أو الرياضة ، حياة أسوأ من حياة البهائم - والعياذ بالله - ونسأل الله العافية .

(**كالكوز مجخيًا**) أي كالكوز المنكوس ، إذا أردت أن تضع فيه خيرًا لم يَقْبل ، وما كان فيه من خير سابق زال عنه بالانقلاب .

وعلامة وقوعه في الفتن أنه (لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا ، إلا ما أُشْرِبَ من هواه) .

فمن وقعت في الفتنة من النساء يكون المعروف المستحسن عندها هو التبرج ، أما الحجاب فهو مُسْتنكَر مستغرب مستقبَح رغم

---

(١) وقد أخبر الرسول ﷺ بأن مقدمة الانحراف الذي وصل إليه بنو إسرائيل كانت وقوعهم في فتنة الشهوات ، فقال ﷺ : « فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ » صحيح مسلم (٢٧٤٢) .

أن الله فطر العباد على حب التستر ، ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف : ٢٢] ، وكذلك إذا التزم شاب استنكر أهله ومن حوله ذلك منه ، ويقولون : لماذا تُشَدد على نفسك ؟ لماذا تخالف ما تَعَارف عليه من حولك ؟ كيف تطلق لحيتك وتقصر قميصك وتترك الذهاب إلى السينما والنظر إلى التليفزيون والفيديو ؟ وكيف لا تصاحب البنات ؟ لماذا التَزَمُّت والتَّطرف والإرهاب ؟ - يعنون صحبة المؤمنين وبغض الكافرين ولزوم المسجد ، ونحو ذلك من العبارات التي يصدون بها عن سبيل الله - .

في مواجهة الفتن :

تحيط بنا - نحن معشر المنتسبين إلى الالتزام بالدين - أنواع كثيرة من الفتن ، نُشِير إلى ثلاثة منها لشدة خطرها وكثرة المفتونين بها .

الفتنة الأولى : الفتنة بضعف الالتزام ومحدوديته ، بأن يقنع أحدنا بالالتزام في جانب صغير من جوانب حياته ، كجانب الهيئة والشكل ، أو بعض معاني الطاعات ، كأن يكون محافظًا على الصلوات في أوقاتها في جماعة ، أو يكون تاركًا لبعض المحرمات الظاهرة ، كسماع المعازف والنظر إلى وسائل الإفساد ، ولا شك أن هذا من الالتزام وهو مطلوب ، ولكن الفتنة أن يَظُن أن هذه

الطاعات - التي صارت علامات مميزة للمسلم الملتزم - هي الالتزام ، فنجد منه ضعفًا في جوانب أخرى من الالتزام ، بل نجد منه ازدواجية في الشخصية أحيانًا ، فعندما يتعامل مع من حوله ، أو عند حصول المنازعات ، فإنك تجد شخصًا آخر غير الذي تراه في المسجد ، وكذلك في الأخلاق ، تجد بين الإخوة من يخلف الوعد ، أو يضيع الأمانة ، أو يَعُق والديه ، أو يسيء الجوار ، بل تجد من يكذب في الحديث ، ويفجر في الخصومة ، وغير ذلك من الصفات الخطيرة التي تزداد مع اختلاط الإنسان بأهل الفساد ، فكلما ابتعد الإنسان عن مصادر النور ، ظهرت فيه هذه الخصال .

وأما عن أنواع الأخلاق الأخرى التي تبدو في استجابة الإنسان للشهوات ، فَحَدِّث ولا حرج - إلا من رحم الله - ، وإن كثرة المشاكل التي نعيشها لَتُنَبِّئُنا بخطر كبير ، فوالله إنها لتُمْرِض قلب من يستمع إليها ، فيكف بالمشارك فيها ؟!! .... نسأل الله العافية .

فلابد من تكميل جوانب الشخصية المسلمة في العقيدة والعبادة و العمل والسلوك ، في الإيمان والإسلام والإحسان ، وأصل ذلك (حال القلب) بأن يكون الواحد منا متنبهًا لما يمكن أن يدخله من أمراض كالرياء والعُجب والكبر والحسد والحقد والضغينة ، أو أن يكون في قلبه غش أو عدم نصيحة للمسلمين ، أو أن يحرص على

مصلحته الشخصية فقط وينسى حقوق إخوانه المسلمين ، أو أن يتبع هواه ويشغل خواطره بالحرام ، فيظل الشيطان يسقي بذرتها حتى تنمو شجرتها في القلب وتثمر الثمار الخبيثة ، من الذنوب والمعاصي ، وما ممارسة العادات السيئة ، وأمراض العشق والشذوذ ، وإدمان الخمر والمخدرات والسجائر ؛ إلا بسبب الخواطر السيئة التي تدور في القلب والفكر .

وهكذا أمراض كثيرة في القلب تظهر آثارها على السلوك ، فإن القلب هو ملك الجوارح ، فإذا صلح صلح سائر الجسد ، وإذا فسد فسدت الأعمال والأخلاق « **أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجُسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجُسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ** »[1] .

ولمواجهة هذه الفتنة لابد من النظر في أسبابها :

فمن أسبابها (الجهل) بكثير من أحكام الشرع ، فيكون الإنسان ظاهره أنه ملتزم ، ولكنه لم يتعلم معاني الالتزام ولم يجاهد نفسه لكي يزاحم أهل العلم بالركب .

ولذلك فلابد أن نتعلم ، حتى يصير التزامنا كل يوم في ازدياد ،

(١) رواه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - .

وقد كانت وصية أحد العلماء الأفاضل لتلامذته : أن المخرج من كل ما يتعرض له المسلمون ، والحل لكل ما هم فيه من المشاكل أن يكون في كل مسجد من مساجد المسلمين من يُعَلمهم الدين مسألة مسألة ، في العقائد والعبادات والمعاملات ، والأخلاق والآداب ، وهي وصية غالية لو طبقها المسلمون لزال عنهم من أسباب الفتن الشيء الكثير .

فما ظنك - أخي المسلم - بنفسك ، لو كنت تتعلم منذ التزمت إلى اليوم - ولو مسألة واحدة في كل يوم - ؟ لا شك أنك لو فعلت لكنت حصَّلت علمًا تنفع به نفسك وأهلك ومن حولك ، ولكن سل نفسك كم درسًا انصرفت عنه ؟ وكم من حلقة للعلم تشاغلت عنها ؟ فما المانع أن نبدأ - أخي المسلم - في التعلم ؟ اجعل حديث جبريل المشهور في الإيمان والإسلام والإحسان فهرسًا لحياتك .

(فمسائل الإيمان) :

من الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وإلهيته وربوبيته ، والحب في الله والبغض في الله ، والولاء والبراء ، والحكم بشرعه - سبحانه وتعالى - وسائر معاني الإيمان ، من الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

ماذا تعرف عن هذه الأصول ؟ ماذا أعددت للقاء الله ﷻ فيها ؟ فوالله لو لم يكن عند الإنسان من الانحراف إلا فساد الاعتقاد لكان من أعظم النقص ، بل ربما وصل به إلى الكفر .

فلو كان الإنسان حسن السلوك ، صادق الحديث ، زاهدًا متعبدًا ، لكنه فاسد الاعتقاد ، كأن يكون ممن يعبد الأولياء ويتقرب إليهم ، أترى الله ﷻ يقبل منه صرفًا أو عدلًا ، وقد أشرك بالله ؟ وهو ﷻ يقول : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥] ، وكذلك في مسائل القضاء والقدر ، كما قال ابن عمر ﷺ : (وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ)(١) .

وكذلك كل أصول الإيمان ، لابد أن تتعلم ما يلزمك اعتقاده فيها ، خصوصًا وهي تتعرض إلى الزلزلة والاهتزاز عند كثير من الناس ، كقضية الشفاعة والولاء والبراء والحكم بما أنزل الله وعذاب القبر ، والاعتقاد في الصحابة وأهل البيت ، وغيرها من المسائل ، وخصوصًا مع وجود أهل البدع الذين ينشرون بدعتهم ، كالطرق

(١) رواه مسلم (٨) .

الصوفية المنحرفة ، والشيعة الروافض ، فضلًا عن العلمانيين المنافقين الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين .

(ومسائل الإسلام) :

كم من الإخوة تعلم فقه العبادات حتى يتعلم ما تصح به العبادة وما تبطل به ؟ وكذلك مسائل المعاملات فإنها في الحقيقة جزء من الإسلام ، فالإسلام بني على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج ، وتتمته بقية الواجبات ، فالبناء أوسع من المبني عليه ، فلماذا نكتفي بأركان الإسلام ولا نكمل باقي واجباته ؟ وهل نرضى بذلك في دنيانا ؟ هل نرضى أن نسكن في بيت ليس فيه إلا الأعمدة ؟ أم لابد من الجدران ، بل والأثاث والمتاع ؟

ولعلنا نسأل : كم من الإخوة حين تاجر ، تعلم فقه التجارة ، وحين شارك تعلم فقه المشاركة ، وحين آجر تعلم فقه الإجارة ؟

(ومسائل الإحسان) :

من تعلم أعمال القلوب الواجبة كالإخلاص لله تعالى ، ومحبته والخوف منه دون من سواه ، والتوكل عليه وحده ، والصبر على طاعته وعن معصيته وعلى أقداره المؤلمة ، والشكر لنعمه ، وسائر عبادات القلوب ، وكيفية تحصيلها ، وكذلك الإحسان إلى الخلق ،

الذي هو ثمرة الإحسان مع الله ، ولعلنا نسأل : مَنْ مِنَ الأخوة انتهى مثلًا من قراءة كتاب رياض الصالحين ، ليعلم الأخلاق والآداب الإسلامية ؟

وهكذا ترى نسبة ضئيلة من الملتزمين تحرص على التعلم ، وما زال أي درس علمي منهجي لا يعتمد على القصص والحماسات واجتذاب العواطف ، ما زال لا يحظى بالاهتمام اللائق .

ونحن لا نُنْكر أهمية المواعظ ، فإن فيها إصلاح القلوب ، ولكن لابد من التكامل في الناحية العلمية .

كذلك من أعظم أسباب نقص جوانب الشخصية المسلمة وغياب الالتزام في جوانب حياتنا المختلف : (ضعف التربية) .

والتربية في الحقيقة مسؤولية مزدوجة على الفرد وعلى الجماعة ، فالفرد في نفسه لابد أن يتعاهد نفسه بالمحاسبة والمراقبة والمجاهدة ، فلابد أن نتبع العلم بالعمل والأدب والخلق وصفاء القلب .

أما الجماعة فلابد لكل واحد منا أن يتعاهد إخوانه بالتربية كما يتعاهد نفسه ، فلا يكتفي بمجرد انتماء الفرد إلى اتجاه معين ، أو بمجرد التغيير المظهري فيه ، بل لابد أن يتعاهد باقي جوانب الالتزام فيه ، بأن يُذَكِّره بها ويحضَّه عليها ، ويتعاون معه في تحصيلها .

الفتنة الثانية : فتنة المناهج المنحرفة :

وهي من أخطر ما يتعرض له الصف الإسلامي والمسلمون عمومًا ، فالمناهج – مثلًا – التي تدعو إلى أن يغرق المسلمون في تبعيتهم لأعدائهم ، قد كثرت وانتشرت في هذا الزمان وقد أخبر الرسول ﷺ عن الشر الذي يكون في آخر الزمان ، ففي حديث حذيفة المشهور :

قال : (كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَفِيهِ دَخَنٌ ، قُلْتُ : وَمَا دَخَنُهُ ؟ قَالَ : قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ ، قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله صِفْهُمْ لَنَا ، فَقَالَ : هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا ، قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ ؟ قَالَ : تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ ، قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ ؟ قَالَ : فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ

وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ) (١) .

ما أكثر من يجهل هذا الحديث ، مع كونه من أخطر ما يكون ، وفهمه من أعظم ما نحتاج إليه ، لأننا بالفعل في زمن الدعاة على أبواب جهنم ، فالترتيب الذي ذكره النبي ﷺ للفتن ترتيب زمني ، حيث كان الشر الذي وقع بعد الخير الأول ـ ببعثة رسول الله ﷺ ـ هو الفتنة التي وقعت بين الصحابة والتي انتهت بعام الجماعة ، عندما صار المُلك إلى معاوية ﷺ وتنازل الحسن بن علي ﷺ عن الخلافة له ، وبعده كان بنو أمية ، ثم بعدهم بنو العباس ، وكان هذا هو الخير الذي فيه دخن ، فقد كانوا – مع المخالفات التي كانت في عهدهم – يُعَظِّمُون السنة ، ويقيمون شعائر الدين الظاهرة كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود ، بل كَثُر في زمانهم العلماء العاملون الذين يحافظون على المجتمع متماسكًا أمام ضربات الأعداء ، وكان المسلمون يُعْلُون كلمة الإسلام – بالسلوك الطيب والدعوة والجهاد – على أرجاء المعمورة .

ثم جاء بعد هذا الخير الذي فيه دخن : الشر الذي أخبر الرسول ﷺ أنه : « **دعاة على أبواب جهنم** » ، وقد بدأ ظهور هؤلاء

(١) رواه البخاري (٣٦٠٦) ، ورواه مسلم (١٨٤٧) .

الدعاة على أبواب جهنم - في الحقيقة - في زمن الخير الذي فيه دخن ، ولكنه ازداد بعده ، حتى عَمَّ وطَمَّ ، وذلك كظهور فرق الضلال والبدع : كالخوارج والرافضة والمعتزلة والقرامطة ، ففرق الضلال بدأت تؤسس دولًا وسلطانًا منذ زمن الخير الذي فيه دخن ، كدولة القرامطة ، والدولة المسماة بالفاطمية ، وهي في الحقيقة باطنية ، وكان أيضًا - في بعض أزمنة الخير الذي فيه دخن - دعوة إلى الباطل علانية كما حدث في زمن الإمام أحمد في فتنة خلق القرآن - امتحان المعتزلة الناس بالقول بخلق القرآن ، إلى أن أبطل الله الفتنة بثبات الإمام أحمد رحمه الله - ولكن معظم هؤلاء الدعاة على أبواب جهنم كانوا نبتًا صغيرًا يبقى مدة ثم يزول ، أما في زمن الشر الذي نحن فيه فقد كثر هؤلاء الدعاة حتى يصير أكثر الناس مُعَرَّضين للاستجابة لهم - والعياذ بالله - .

وهنا سؤال لابد أن نفقه إجابته :

إذا كنا الآن في زمن الدعاة على أبواب جهنم ، فمن هؤلاء الدعاة ؟

مِنْ أحق الناس بهذا الاسم في زماننا دعاة العلمانية والديمقراطية والقومية والوطنية والاشتراكية ، وغيرها من المناهج التي ليست من الإسلام ، وإنما للخداع فقط حتى ينجذب الناس

إليهم ، فهؤلاء ينطبق عليهم وصف الرسول ﷺ : « **مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُون بِأَلْسِنَتِنا ، قلوبُهم قلوبُ شَياطِينَ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ** » [١] ، وكذلك فرق الصوفية الغلاة الذين يعبدون الصالحين والذين يقولون بوحدة الوجود والحلول ، وكذلك فرق الرافضة الشيعة ، وما أظهر تحالفهم وعمالتهم لأعداء المسلمين مع اليهود والنصارى في أفغانستان ، ثم العراق لمحاربة أهل السنة ، ومن العجيب : أنك ترى من يُرَوِّج لاتباع هؤلاء ، وقد قال ﷺ : « **مَنْ أَجَابَهم إليها قَذَفُوه فِيها** » وينهون عن التعاون مع دعاة الإسلام .

فالمؤمن مأمور بأن يعتزل فرق الضلال كلها ، وأن يلزم جماعة المسلمين وإمامهم إن كان في الأرض خليفة ، وإن لم يكن لهم في الأرض خليفة فلا تخلو الأرض من جماعة أهل السنة ، قال رسول الله ﷺ : « **لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ كَذَلِكَ** » [٢] ، فليس المقصود - بلا شك - من اعتزال الفرق اعتزال أهل الإسلام ، أو عدم التعاون على البر والتقوى كما يزعم البعض كذبًا وزورًا أن هذا هو معنى

---

(١) ورد وصف « قلوبهم قلوب شياطين » رواية أخرى في صحيح مسلم حديث رقم (١٨٤٧) .

(٢) رواه بهذا اللفظ مسلم (١٩٢٠) وله عدة طرق وروايات تصل إلى حد التواتر .

الحديث ، إذ ليس الدعاة إلى الله الملتزمون بدينه الذين يتعاونون على إقامة شرعه بدعاة على أبواب جهنم يجب اعتزالهم ، بل الدعاة على أبواب جهنم هم دعاة المناهج المنحرفة كالخوارج والقرامطة ، ودعاة العلمانية وفصل الدين عن الحياة ، الذين يروجون للولاء للغرب والغرق في متابعته شبرًا بشبر وذراعًا بذراع ، هؤلاء وأمثالهم هم الذين يجب علينا اعتزالهم ، وتحذير الناس منهم ، فلا يجوز أبدًا أن تبقى قضية الولاء والبراء والحب والبغض والطاعة والمتابعة مندثرة المعالم يختلط فيها الحابل بالنابل ، فتجد من يسمي بعض صور المعاملة الجائزة – كالبيع والشراء – موالاة محرمة ، في حين يستدل البعض بهذه الصور على جواز الموالاة للكافرين ، فهذا خلط عجيب مرفوض .

مع أن المسألة واضحة في شرع الله ﷻ ، أن معاني الموالاة هي : الحب ، والمودة ، والنصرة ، والطاعة ، والمتابعة ، والتشبه بهم ، والركون إليهم ، والمعاونة على أمرهم ، فلا يقال لمن باع أو اشترى منهم : إنه والاهم ، ولا يقال أيضًا : إن محبتهم ومودتهم جائزة لأن الرسول ﷺ باع لهم واشترى منهم ، ويسمى ذلك سماحة ، ثم يؤول به الأمر إلى أن يُصَوِّب الملل الكفرية ، بل سمعنا من يقول :

إن الخلاف بين المسلمين وبين اليهود والنصارى ليس خلافًا دينيًا كمن يقول أيضًا :

إن الخلاف بين المسلمين والنصارى هو أنهم لم يعتذروا عن الحروب الصليبية ، فنحن نطالبهم باعتذار واضح عنها ، فهذا عجيب والله !!

ألا تطلب منهم أن يتوبوا إلى الله من نسبتهم الصاحبة والولد إليه ، ومن إعلانهم أمام الملايين من البشر أنهم يعبدون المسيح ابن الله ؟ تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا .

كذلك هناك من يزعم أن الخلاف بيننا وبين اليهود أنهم لا يعطون الفلسطينيين حقوقهم ، أو أنهم يسمحون بوجود المستوطنات ، بل منهم من يقول : إن المشكلة الحقيقية بيننا وبينهم أنهم لا يطبقون قرارات الأمم المتحدة ! أو أنهم اغتصبوا بعض أجزاء من الأرض !

والحق أنهم اغتصبوا الأرض كلها ، فأرض فلسطين ملك للمسلمين عمومًا منذ أن فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب ﷺ وليس لأحد أن يتنازل عنها .

ولكن حتى لو لم يغتصب اليهود شيئًا من أرضنا ، ولم ينتهكوا شيئًا من حرماتنا ، لظلوا أعداءً لنا لأنهم يَكْفُرُون بالله ﷻ ،

ويكفرون بالقرآن العظيم ، ويُكَذِبُون الرسول ﷺ ، نعوذ بالله من هذه الفتن المهلكة .

فالواجب على كل مسلم أن يحذر على نفسه ويُحَذِّر الناس من حوله من هؤلاء الدعاة على أبواب جهنم ، الذين يزعمون أن التقدم لا يكون إلا بتقليد الغرب في كل أحوالهم ، فلا يكون متحضرًا إلا من شاهد أفلامهم وسمع موسيقاهم وغنى أغانيهم ولبس ثيابهم .

ولا أنسى تعليق بعض الإذاعات الأجنبية على سقوط عاصمة إحدى الدول الإسلامية في يد المسلمين بعد الحكم الشيوعي العلماني حيث قالوا : (اختفت الأزياء الغربية) ، إن هذه المظاهر عندهم لها أهمية قصوى يقيسون بها مدى ذوبان الشخصية الإسلامية ، كما نقلوا فورًا عند سقوطها مرة أخرى في أيدي الأمريكيين : (ظهور الأزياء الغربية ومحلات الكوافير ، وحلق اللحية) فإنهم يستشعرون مدى خطورة استقلالية الشخصية الإسلامية ، ولذلك فغاية اضطهادهم للمسلمين وحربهم لهم وهجومهم عليهم ، هو تمييع قضايا الولاء والبراء ، ويستخدمون لذلك الحرب الظاهرة : بالاحتلال والاضطهاد ، والحرب الباطنة : بنشر البدع والضلالات ، باستخدام أناس من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا ، حتى تدخل الفتن

على المسلمين ونسأل الله أن يرد كيدهم في نحورهم ، فليس الخطر عند أعداء الإسلام من كمِّ الأسلحة عند المسلمين أو نوعيتها ، بل الخطر في عقيدة المسلمين التي تأبى عليهم أن يرضوا بالذل أو يخنعوا أمام أعدائهم ، ولذلك يدعمون الدعاة على أبواب جهنم الداعين إلى ذوبان هذه الشخصية ، فمن استجاب فرحوا به وقربوه ، ومن أعرض عنهم فإنهم لا يتركونه بل يطرحون عليه البدائل التي يرضونها للالتزام الصحيح بالإسلام كإسلام الصوفية مثلًا [1] ، أو الإسلام العلماني إن صح التعبير [2] حتى تبقى القطاعات العريضة

---

(١) ومن أعجب ما قرأت أن السفير الأمريكي في بعض بلاد المسلمين قد حضر الاحتفال الذي تقيمه الطرق الصوفية بمولد السيد البدوي ، تدعيمًا لهذه الطريقة ، مع كل الموبقات التي يوقن بها كل من يعلم ما يقع في هذه الموالد من دعارة وخمر ومخدرات وفواحش وسرقة وكل أنواع الفُجر التي أعظمها وأخطرها الشرك بالله تعالى .

(٢) كمن يصرح من بعض الاتجاهات الإسلامية أنه مسلم علماني – والعياذ بالله – ومنهم من سئل عن حرية الإلحاد والإباحة الجنسية ، فقال : كل إنسان له الحق في نشر فكره ومعتقده ، محتجًا بقول الله : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩] وهو من أبطل الاحتجاج ، إذ تكملة الآية ترد عليه : ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ فالأمر فيها للتهديد والوعيد لا للتخيير ، فانظر ماذا يصنع الجهل والهوى بأهله ؟ ومنهم من قال : إن الجماعات السياسية ذات المرجعية الإسلامية ، لا تبني عملها على الحلال والحرام ، بل على المصالح والمفاسد ، ومنهم من قال : لو أن الشعب وافق على إلغاء النص الدستوري على أن الشريعة هي المصدر الرئيسي للتشريع ، فنحن نلتزم به ، لأن المتطرفين هم الذين يقولون أن الحكم لله ، وأما نحن فنقول الأحكام للشعب – والعياذ بالله – ، فقد وصلت الفتنة في هذا المقام إلى دركات النفاق الأكبر – والعياذ بالله – ، ولولا الجهل والتأويل لكان للكلام والأحكام شأن آخر ، فهذه مبادئ العلمانية المصرية في المساواة بين الملل والحرية بصورتها الكفرية ، والديمقراطية على معناها العاري الحقيقي من تحكيم الناس وآرائهم فوق شرع الله صارت مقبولة عند طائفة من الإسلاميين .

من المسلمين الذين يحبون التدين قانعة بهذه المناهج المنحرفة التي لا تُغَيِر السلوك التغيير المطلوب ، فإنك تجد مَن حياتُه كلها حرب على الإسلام والمسلمين ، وهو في الوقت نفسه يذهب إلى الخلوة في أيام الموالد ، أو أنه قد أخذ عهدًا على شيخ في طريقة صوفية ، كما حدث في إحدى الدول الإسلامية ، حين اختاروا رئيسًا لهم من إحدى هذه الطرق ، فكان أول ما فعله بعد توليه الحكم أن قال : لابد من توطيد العلاقات مع إسرائيل !!!

ومن المناهج المنحرفة أيضًا : المنهج الشيعي ، ويجب على دعاة الإسلام التحذير منه ، لا أن يكون من بينهم دعاة للتقارب معه والالتقاء به في منطقة وسط .

ثم هم أنفسهم يتراجعون عن ذلك في أحوال سياسية معينة ، فمن يوم أن قامت ثورة (إيران) والخلاف في كيفية التعامل معها محتدم بين أفراد الصحوة الإسلامية ، فمنهم من أيدها تأييدًا كاملًا وصفق لها كثيرًا ، ثم بعد أن اختلف معها لعنها لعنًا شديدًا ، وهناك من أقام توازنات سياسية معها .

أما الدعاة الذين يبنون مواقفهم على العقيدة الصحيحة ، فإن موقفهم كان واحدًا عبر التاريخ ، وإنما عصمهم الله باتباعهم لسنة

نبيهم ﷺ الذي أمر بأن نعتزل تلك الفرق كلها .

فالسبيل الوحيد لوحدة المسلمين هو اجتماعهم على المنهج الصحيح بتفاصيله ، فإن الدعاة الذين لم تختلف مواقفهم ولم يختلفوا فيما بينهم هم الدعاة الذين يبنون مواقفهم على العقيدة الصحيحة ، أما غيرهم فقد اختلفوا فيما بينهم وتغيرت مواقفهم بتغير الأحوال والسياسات .

* ومن أخطر الفتن داخل الصف الإسلامي فتنة المناهج المنحرفة المتعلقة بالغلو ، خاصة الغلو في التكفير بدرجاته المختلفة ، فمنهم من يكفر المجتمع ككل ، ومنهم من يتوقف في شأن عامة المسلمين أو بعضهم فلم يحكم لهم بإسلام ولا بكفر .

ومن الآثار المترتبة على وجود هؤلاء بين أفراد الصحوة ، أن نجد عند بعض من ليس له حظ من العلم – فلا يصلح حتى أن يطلق عليه لقب (طالب علم) – جرأة عجيبة وتسرعًا واضحًا في مسائل تحتاج إلى علماء مجتهدين ومجالس قضاء ليُقَرِّروا : (أكَفَر فلان أم لم يكفر ؟؟ هل أقيمت عليه الحجة أم لا ؟؟ وهل استوفى شروط التكفير أم لا ؟؟) كل هذه من مسائل الاجتهاد الكبار ، التي لا ينبغي لطلاب العلم الخوض فيها وإنما يتكلم فيها العلماء الراسخون .

وخطورة هذه الفتنة أنها تدخل على الشباب الملتزمين من باب الحرص على الدين ، والغيرة على محارم الله ، والجرأة في الحق وأنه لا يتهاون فيه أبدًا ، وهذا خطر عظيم .

ولذلك نحذر إخواننا من هذه الفتنة ، ومن هذه المناهج ، لأن بعض أتباع هذه المناهج يلقون بالشبهات على الإخوة والأخوات ، وهم للأسف لا يستطيعون الرد الصحيح عليها لعدم التعلم الذي ذكرناه في فتنة محدودية الالتزام .

وقد حذر النبي ﷺ من فتنة الغلو عامة ، ومن فتنة التكفير خاصة ، فقال ﷺ : « **وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ** »(١) .

وحذر في أحاديث كثيرة من التكفير ، قال النبي ﷺ : « **إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما** »(٢) ، وقال ﷺ : « **ومن رمى مؤمنًا بكفر فهو كقتله** »(٣) ، فقد تواترت الأحاديث بذم الخوارج فمنها : وصفهم بأنهم كلاب النار فقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ

---

(١) رواه النسائي (٣٠٥٧) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٤٤) .
(٢) رواه البخاري (٦١٠٣) ، ومسلم (٦٠/ ٦٤) .
(٣) رواه البخاري (٦١٠٥) الأدب .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ » [1] وأنهم « ... يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ ... » [2] ، وأنهم مع كثرة قراءتهم وعبادتهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة ، وأنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، وأخبر ﷺ أنه لو أدركهم لقتلهم مثل عاد وإرم ، وأن الفئة التي تقاتل الخوارج هي أَوْلَى الفئتين بالحق [3] .

ولعلاج هذه الفتنة ؛ لابد من التمسك بمنهج أهل السنة والجماعة بطريقة السلف ﷺ ومدارسته مسألة مسألة ، لنتعرف على معالم هذا الطريق الذي تسفي عليه رياح الفتن ، فيلتبس على كثير من الناس .

نقول : منهج أهل السنة والجماعة بفهم السلف ﷺ لأنه ما زال في معاهد وجامعات ومدارس إسلامية يُدرَّس المنهج الأشعري على أنه منهج أهل السنة والجماعة ، مع أن الأشاعرة يخالفون السلف في مسائل الأسماء والصفات ، ومسائل القضاء والقدر ، ومسائل

---

(١) رواه ابن ماجة (١٧٣) ، وصححه الألباني .

(٢) رواه أبو داود (٤٧٦٤) ، وصححه الألباني .

(٣) رواه مسلم (١٠٦٥) .

الإيمان والدين [١] فمصطلح (أهل السنة والجماعة) يتسمى به أناس ليسوا منه في شيء ، ونخشى أن يأتي علينا زمان يتسمَّى فيه أناس باسم السلفية وهم ليسوا من السلفية في شيء ، والعلاج الوحيد والوقاية الحقيقية من ذلك هو عدم الاكتفاء بمجرد الانتماء الإجمالي لاسم السلفية ، بل لابد من تعلم تفاصيل هذا المنهج والتحقق به في كل جانب من جوانب الحياة .

---

(١) فأهل السنة يثبتون كل ما وصف الله به نفسه في كتابه ووصفه به رسوله ﷺ في سنته ، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ولا يفرقون بين بعض الصفات وبعضها ، بل منهجهم إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل ، فيثبتون وجود الرب وحياته وقيوميته وقدرته وعلمه وسمعه وبصره وكلامه بحروف ومعان ورحمته وعدله ، وأنه يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وأنه خلق آدم بيديه ، وغرس كرامة المؤمنين في جنة عدن بيده ، وكتب التوراة بيده ، وأنه يضحك إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ، وأنه يفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه أعظم من فرح من وجد راحلته بعد أن أضلها في أرض فلاة ، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر يقول : (هل من داع فأستجيب له ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟) ، وأن جهنم لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار عليها قدمه فتقول قط قط ، وأن وجهه ذو الجلال والإكرام وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة .

أما الأشاعرة فمنهج التلقي عندهم من العقول وما يثبته علم الكلام ، وهم لا يثبتون إلا سبع صفات هي (الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة والكلام) وهم ينفون أن الله يتكلم بمشيأة ولا بحرف ولا صوت ويؤولون باقي الصفات حتى الرحمة والغضب لا يثبتونها ، إلى غير ذلك من مخالفاتهم لأهل السنة .

وكذلك في مسائل القدر : فأهل السنة يثبتون للعباد قدرة وإرادة بها تقع أفعالهم ، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم وأفعالهم ، والأشاعرة لا يثبتون أثر الإرادة والقدرة الإنسانية في الفعل ، فالعباد عندهم في الحقيقة مجبورون لأن أفعالهم لا تقع بإرادتهم بل معها .

وكذلك في مسائل الإيمان والدين : فأهل السنة يقولون : إن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، والأشاعرة يقولون : إنه المعرفة ، فوافقوا قول الجهمية ولم يثبتوا زيادة ولا نقصانًا ، حتى عمل القلب عامة متكلميهم لا يثبتونه .

وما أيسر أن نتعلم معالم هذا المنهج ؛ لأنه من الذكر ، والله ﷻ يقول : ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٥] .

والسنة هي بيان القرآن فهي أيضًا ميسرة ، فلو تدارسنا مختصرًا من المختصرات في العقيدة المبنية على الكتاب والسنة [1] مع نية خالصة ومتابعة صادقة لأهل العلم فإنه يكفي – بإذن الله تعالى – في حماية الأخ من المناهج المنحرفة ، والله المستعان .

الفتنة الثالثة : الانشغال بالدنيا والبعد عن مجتمع الإخوة ، وهي من أخطر الفتن التي نتعرض لها ، فمثلًا الطالب الذي كان يشارك في الدعوة إلى الله ويحرص على طلب العلم ويجتهد في العبادة ، بمجرد أن ينتهي من حياته الجامعية ويبدأ حياته العملية ويدخل في معركتها ، نجده يعمل ليل نهار ، ويغرق في البحث عن حاجاته الدنيوية ، ولا شك أن الحاجات الضرورية لابد من السعي لتحصيلها ، ولكن لابد من النظر في نوعية هذه الحاجات ، هل هي ضرورية أم يمكن الاستغناء عنها ؟ ثم لابد من الموازنة بين قدر احتياجه إليها وبين احتياجه لأن يكون مع إخوانه يُذَكِرونه إذا غفل ويعينونه إذا ذكر .

---

(١) راجع كتاب (المنة شرح اعتقاد أهل السنة) فإن في دراسته - إن شاء الله - خيرًا كثيرًا .

ولا ننكر أن مجتمع الإخوة لا يخلو من سلبيات ، ولكن مع ذلك فإن من يبتعد عنهم يقع في أنواع من الفتن لا يعلمها إلا الله - سبحانه وتعالى - .

وعلاج هذه الفتنة في إحسان التوكل على الله ، وصدق اللجوء إليه ، فقد قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق : ٢-٣] .

وقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ »[1] .

ثق - أخي المسلم - أن قربك من الله وطاعتك له ونيتك في إرادة وجهه ، وعزمك على أن تحيا بالإسلام وللإسلام ؛ هو الذي يحدد لك قضية الرزق ، ويحدد لك أيضًا الوقت الذي ستبذله في ذلك ، ليست الأسباب الأرضية هي التي تتحكم في ذلك ، فلا تتعلل بقلة فُرَص العمل بحيث إنك لا تجد عملًا إلا ما يستهلك النهار كله ، وربما بعض الليل كذلك ، فترضى بهذا العمل الذي تصير معه - والعياذ بالله - جيفةً بالليل حمارًا بالنهار ، فإنك إن لم

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٦) وصححه الألباني .

تجد إلا هذا العمل فاعلم أن الخلل في القلب من ضعف التوكل أو ضعف إرادة الآخرة ، فإن الله ﷻ يرزق من يشاء بغير حساب ، وهو – سبحانه – لن يضيع أهله ، كما أخبر الرسول ﷺ في حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ** »(١) .

وقال ﷺ : « **مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ** »(٢) .

إياك – أخي المسلم – أن تنشغل بالدنيا عن العمل بطاعة الله والدعوة إليه ﷻ ، فلابد أن تقتطع من وقتك لكي تقرأ وتتعلم ولكي تتعبد وتصلي وتصوم ، ولا ترضَ بأن تعيش في الدنيا لا هدف لك إلا تحصيل الزيادات أو حتى الكفايات ، وليس معنى ذلك أنني أدعوك إلى ترك الكفايات الأساسية ، ولكن أقول : إن

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٥) وصححه الألباني .
(٢) رواه ابن ماجة (٢٥٧) وصححه الألباني .

الله ﷻ يجعل المخرج ويرزق من توكل عليه من حيث لا يحتسب .

ولك القدوة في أصحاب النبي ﷺ ، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ يتناوب النزول على رسول الله ﷺ هو وجار له من الأنصار ، ينزل عمر يومًا وينزل جاره يومًا ، فإذا نزل جاء لصاحبه بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل صاحبه فعل مثل ذلك ، فعمر يعمل ويتكسب للدنيا ولكن لا ينسى الآخرة ، بل يقتطع من وقته لينزل من عوالي المدينة إلى مسجد رسول الله ﷺ ، ونحن الآن في زماننا قد مَنَّ الله علينا بوسائل ميسرة ، فإذا فاتك مجلس علم تستطيع أن تستمع إليه أكثر من مرة بالشريط أو غيره ، مع عدم إهمال حضور مجالس العلم لما فيها من البركة والرحمة والمغفرة ، فاحرص على أن تُوجِد لنفسك دورًا في الالتزام بالإسلام والعمل من أجله ، ولا تنتظر ممن حولك أن يوجدوا لك الدور الذي يتوافق مع رغباتك الدنيوية ، أنت تدافع عن الإسلام ضد الهجمات الشرسة عليه ، بل أنت قبل ذلك تدافع عن نفسك في مواجهة الفتن ، فلابد أن تأخذ بأسباب النجاة ، فلو كنت جنديًا في حرب من الحروب ، وسمعت أمر القائد بأن يحفر كل واحد من الجنود لنفسه خندقًا ، فهل ستنتظر من حولك حتى يحفروا لك هذا الخندق ؟! وإذا هجم العدو ولم

تحفر لك الخندق الخاص بك ، ألست ستكون أول المصابين بطلقات الأعداء ؟! فأنت في حربك مع أعدائك ومع الفتن من حولك تحتاج أن تتخذ لك مكانًا مع إخوانك ، تعمل معهم وترتبط بهم ، فإن الصحبة الطيبة من أهم العوامل للثبات أمام الفتن .

وإذا كانت الفتن تموج كموج البحر ؛ فإن النجاة من الغرق فيها أن تتشبث بمن حولك ، حتى ولو ضاقت الوسائل الدعوية وأعمال البر التي تَعَوَّد الإخوة أنها التي تجمعهم ، فليس هذا بعذر في البعد عن الإخوة الصالحين ، ولابد أن توجد البديل ، فإنني أذكر أنه منذ أكثر من عشرين عامًا لم يكن للإخوة في الأسكندرية كلها إلا مسجد واحد أو مسجدان ، ومع ذلك كان الإخوة يلتقون بعد الصلاة ويقفون في الطريق يقرأ كل واحد منهم حديثًا على قدر علمه ، ولم يكن العلم ميسرًا لكل من يطلبه كما هو الآن - بحمد الله - ، وأذكر أن ثمرة هذه الكلمات البسيطة كانت في غاية البركة ، فإن الخير - بحمد الله - موجود في القلوب فهي سريعة الاستجابة للالتزام ، فليس لك عذر - أخي المسلم - في الانشغال بالدنيا أو البعد عن إخوانك ، نسأل الله ﷻ أن ينجينا من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ونسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يعز الإسلام والمسلمين ، وأن

يذل الشرك والمشركين ، اللهم انصر المسلمين في كل مكان ، اللهم نجِّ المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، واللهم يا مصرف القلوب صَرِّف قلوبنا على طاعتك .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين ، فهذه بعض أسباب الفتن وما تيسر من أمور لعلاجها أسأل الله أن ينفعني وإخواني المسلمين بها في الدنيا والآخرة ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تمت بحمد الله

الفهرس

من إصداراتنا ..

شرح رسالة

أمراض القلوب

لشيخ الإسلام ابن تيمية

كتبه

ياسر برهامي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

من إصداراتنا ..

أدب السلف

في التعامل مع الناس

تأليف

أبي عبد الرحمن رضا بن عبد المجيد فتح الله

تقديم

د/ ياسر بن حسين برهامي